التفاعل الثقافي في البنية الايديولوجية حول مكونات الفكرة السياسية

م.و. حسين عباس حسين
الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياسية

الملخص

تناول البحث الثقافة لِما تشكله كعامل في صياغة الفكرة التي تُعد منبعاً للآراء البشرية التي تكون تلك الفكرة، وبالتالي تكون مؤسِسة بحال أو بآخر لمضمون الفكر الإنساني العام ، ومن هنا تشكل الأيديولوجية ببعدها السياسي عاملاً مركزياً في تشكيل البناء السياسي من نظام ومن طبيعة حكم وأدارة مؤسسات ، وهنا شكل العامل الثقافي وأقترانه بالسياسة (الثقافة السياسية) عنصراً أساسيا في مصدرية الآراء التي تُكون الفكرة السياسية ، وبالتالي كانت هذه الفكرة مصدراً لصياغة النمط الأيديولوجي وتشكيل ملامحه وأولوياته وطبيعته وأتجاههُ الذي يؤسس لبناء الدولة وأطارها العام وطبيعة تكوين الواقع السياسي لتلك الدولة ، فكانت الثقافة بأطارها الأجتماعي الذي هي نتيجة تفاعلاته من موروث الى فهم للأشياء الى التقاليد والممارسات نواة لمجمل التكوين الفكري وبالتالي واحدة من إنعكاساته هي الأيديولوجية في أطارها السياسي والذي خاض البحث بهِ من وحي هذا المعطى والذي شكل جانباً واضحاً من جوانب الثقافة ..

الكلمات المفتاحية : (الثقافة السياسية ، الإيديولوجية ، التنشئة الاجتماعية)

المقدمة

حينما نتناول الثقافة فإننا نتحدث عن مكونات البنى التي تُصيغ السلوك الإنساني وأفعاله ، و كذلك نحن في ذات الوقت نتحدث عن مكونات وتلازمات هذا السلوك بتوجهات الإنسان نحو الطبيعة أو الأشياء، وسبل التعاطي معها ، فالبحث عن ماهية الثقافة أذا كان في مكوناتها وتوجهاتها فهو أيضا ذا صلة حقيقية بإنعكاسات تلك الثقافة على الأبعاد كافة ومنها البعد السياسي، فالثقافة وإن كانت في تعريفاتها تتمحور في بعدها الانثربولوجي والسيسولوجي . إلا إنها تبقى واحدة من أهم عناصر موجهات السلوك والممارسة نحو الأشياء ، وتكوين الفهم لذات الأشياء، أن التركيبة المتمثلة بالتقاليد، اللغة، العادات، طبيعة التعليم، الطبقة و التركيبة الاجتماعية، هي الخليط التفاعلي المنتج لملامح تفكير ذلك الفرد وطبيعته و تصوراته ومنهجية التعاطي مع المفاهيم ، وإلا إننا عند الحديث عن الثقافة بتلازمها السياسي فإننا نتحدث عن مُنشأ بنيوي للفكر لا يمكن التعاطي معه كوحدة واحدة كلية تمثل حداً واحداً للثقافة في بعدها السياسي، فنحن هنا نتحدث عن الثقافة السياسيه "السائدة" اولاً ، والثقافة السياسية "الحاكمة" ثانياً ، "بوصفها الثقافة النخبوية " الصانعة للقرار السياسي ، فمرتكز الثاني لا يمكن أن يتعاطى خارج أطار الأول بمعنى الثقافة السياسية السائدة إذا ما كانت تتمتع بحجم من التداولية والسلمية والعدالة بمفهومها المشبع بالتسامح والمدنية ، وكذلك العدالة بمفهومها التوزيعي(الأقتصادي) والاخلاقي ، هذا يحتم بالضرورة على الأول أن ينمط أفكاره ومخرجاتها في هذا الاطار، وكذلك الثانية أذا ما كانت تتميز بالشمولية والأحتكارية بمفاهيم السلطه الفردانية قد تنمط الاولى وفي حدود أرادتها وتوجهاتها، نحن هنا نتحدث عن علاقة في غالبها وصف لعلاقة الحاكم والمحكوم في نمطها الأجتماعي وتمثلاتها الثقافية من جهة، وكذلك

نحن نتحدث عن الثقافة السياسية كعامل تنموي في المجتمع ومؤثر في السلطة على حد سواء ، هذا اذا ما نظرنا الى سرديات التفكيك لِمفهوم الثقافة على المستوى الكلي كمصطلح (الثورة الثقافية) كما طرحها لينين للنظر في الفردانية ، ومصطلح (المثقف العضوي والتقليدي) كما طرحها انطونيو غرامشي ، وجاء البحث لِيضعنا أمام المركب الكلي لمفهوم الثقافة الذي يخلق من هذا المكون وتاثيره في صياغة الأيديولوجية السياسية والتي تنعكس تجلياتها في نخبوية الأحزاب السياسية وتقنيناتها لهذا المركب الفكري وما مدى أنبثاقه من وحي" الثقافة" الذي يرسم شكل المتباينات والأفكار لهذا الأحزاب ، وتبقى الثقافة منمطة بحسب مؤثراتها وبيئتها التي تحيط إذا ما حصل تحول أو تطور أو غزواً ثقافياً، لذا كان البحث متناولا من حيث الأهمية البعد الثقافي كمكون فاعل في تحديد أولويات الأيديولوجية وهذا ينعكس على طبيعة النظام السياسي والسلطة ، ومن حيث الذهاب الى الفرضية إن الثقافة مصدر لتحديد ملامح الواقع السياسي و ليست السلطة إلا إنعكاس لِمكونات صنعت هذه الثقافة، وجاء البحث في تفصيلاته للاطلاع على هذا البعد حول مفهوم الثقافة وتأثيره على صياغة الأيديولوجية في مبحثين ألأول : الثقافة الاصطلاح والمقاربة السياسية ، في مطلبين تناولا الثقافة وأُسس التفكير السياسي،والثقافة كمنتج للمفاهيم السياسية وجاء المبحث الثاني : الثقافة كمؤثر في صياغة الأيديولوجبة في مطلبين تناولا التنشئة السوسيولوجية كحاضن فكري لتجليات الثقافة السياسية ، والثقافة السياسية و؛تأثيرها الأيديولوجي ..

المبحث الأول: الثقافة الاصطلاح والمقاربة السياسية

المطلب الأول : الثقافة وأسس التفكير السياسي

اكتسبت كلمة ثقافة "culture" معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية "cultes"لكنها في القرن السابع عشر تعبير عن " فلاحة الأرض "، ومع القرن الثامن عشر اتخذت منحى يعبر عن التكوين الفكري عموما وعن التقدم الفكري للشخص بخاصة ، وعما يتطلبه وهو ذلك من عمل وما ينتج منه من تطبيقات هذا هو المعنى الموجود في المعاجم الكلاسيكية ، ولكن أنتقال الكلمة إلى الألمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إكسبها لأول مرة وقبل الرجوع إلى فرنسا مضمون جماعي فقد أصبحت تدل بخاصة على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة(١)، هذا ما يعطي لمفهوم الثقافة ومنذ نشأته إتصالا وثيقاً بطبيعة التكوين الفكري لدى الفرد وبالتالي ينعكس هذا على المجموعة ، وهذا ما يحدد النمط العقلي للإدراك الجمعي الذي يشكل النمط السائد من التفكير وهو أيضا ما ينتجه الواقع الحياتي المعاش للأفراد والتجمعات البشرية " إذ تتألف الثقافة من أنماط فكرية وقيم و معتقدات شائعة بين مجموعة من الأفراد لا يهم حجم المجموعة هنا سواء أكانت كبيرة أم صغيرة وسواء أكانت جزءاً من مجتمع معين أم المجتمع بأكمله ، أم حتى إذا كانت المجموعة مرتبطة بمجموعات أخرى خارج حدودها الوطنية

---

(١) للمزيد ينظر : عبد الغني عماد ،سيوسيولوجيا الثقافة والمفاهيم والإشكاليات من الحداثة الى العولمة ، ط٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٦ ،ص ٢٦-٢٧ .

(٢)ديفيد إنفيروجون هيوسن ، مدخل الى سوسيولوجيا السياسة ، ترجمة لما نصير ،ط١ ، المركز العربي للدراسات وأبحاث السياسة ،قطر ، ٢٠١٣ ، ص١٧.

فالثقافة هنا جزء لا يتجزأ من الحياة الكلية لمجموعة معينة من الأفراد"[٢] ، إذن نحن نتحدث فيما مدى تعاطي هذا المفهوم " الثقافة "على نحو التطبيق مع الواقع السياسي فينظر البعض إلى الثقافة بنحوها السياسي هي ثقافة فرعية وهي جزء من الثقافة الأم فهي ورغم إنعكاسها من القيم والتوجهات والسلوكات العامة للثقافة فهي تبقى مرتبطة على صعيد الراهن المتغير ، وهذا متعلق بطبيعة الظروف السياسية والاقتصادية التي تلعبها السلطة السياسية المتمثلة في مجموعة الأحزاب التي تحكم وتسيير الأمور وهذا ما جعل للثقافة بعدا آخر في ما يمكن أن يكون على النقيض من هذه السلطة إذا ما لم تتماشى والتوجه العام للإفراد المحكومين بثقافة معينة ، و الذي يعتبرها " روبرت دال " مفسرا لِأنماط المعارضة من منطلق الثقافة السياسية كما حدد عناصرها بالاتي[٣]:

أولا : التوجه بإزاء حل المشاكل وميز دال بهذا الخصوص بين التوجه البرغماتي العملي و مؤداه ، مواجهة المشكلة حالما تثور دون الالتزام بأي إطار فكري موضوع سلفا أو تفكير علمي مسبق ، وبين التوجه ألعقلاني الذي ينطلق في معالجة المشكلات من إطار علمي يقوم على الرابط المنطقي المحكم بين الأسباب والنتائج .

ثانيا : التوجه نحو العمل الجماعي وفي هذا الشأن فرق دال بين التوجه التعاوني الذي يفترض ، ايمان أفراد المجتمع بأهمية العمل المشترك في المجالين الاجتماعي والسياسي وبين التوجه الفردي الذي يعني سيادة نزعات الفردية وتحكمها في سلوك الأفراد بحيث ينشغل كل منهم لمصلحته وحسب ،

(٣) Robert Dahl ,Political opposition in western Democracies , New Havn ,yale up , 1989 ,pp352,353.

وينشد حلولاً ذاتية لما يعترضه من مشاكل ، ويشك في جدوى التكاتف مع الغير.

ثالثاً: التوجه نحو النظام السياسي ولهذا الصدد يوجه نمطان أولهما ينصرف الى الولاء والتعلق بالنظام ، ويتمثل ثانيهما في الشعور بالإغتراب والعزلة النفسية عن النظام وعدم الأحساس بالمواطنة المسؤولة بما ترتبه من حقوق والتزامات .

رابعاً : التوجه حيال الأفراد الآخرين نوه دال هنا إلى علاقة المرء بغيره إما أن يكتنفها الشك المتبادلة أو تنهض على الثقة المتبادلة .

إشارة إلى العامل الثقافي وكيف له من تفعيل دوره وعبر توجهات معينة لان يكون في ديناميكيته المتفاعلة سياسياً إن كان في جنب السلطة أو على النقيض منها في واقعه كمعارضة سياسية ، أن علاقة الأفراد بالمؤثرات التي تحيطهم ربما تناولتها موضوعات التنشئة الاجتماعية وصيروراتها نحو خلق شيء من المدركات العامة تسمى بالثقافة وإذَا ما أخذت هذه المدركات بواقعها من جنباتها المتعددة فهذا يقترن حينها "بالثقافة السياسية" ، "فهي عملية تلمس وتتطرق إلى مختلف جوانب حياة الفرد والمجتمع الذي يحيا فيه، وأحد هذه الجوانب، هو التنشئة السياسية كمدخل نحو تكون ثقافة الفرد السياسية وتشكلها"[٤] ، لذلك يمكن أن ينظر للثقافة في بعد من أبعادها بأنها واحدة من أهم العناصر التي تشكل واقع الفهم العام لطبيعة النظام أو شكل السلطة أو بناء المؤسسات السياسية، "فينظر كايلور للثقافة هي مجموعة من العناصر قانون، وسياسة.... الخ لها علاقة بطرائق التفكير والشعور والسلوك، أي أنها تتصل بالنشاط الإنساني كله، وبما أن السياسة علم من العلوم الاجتماعية، فإنها تمثل مجموعة من القيم، أي

[٤] للمزيد ينظر: احمد ظاهر، أبجديات علم السياسة ، د ط ، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٤، ص ٢٨٦.

أفكار وسلوك ومبادئ ومفاهيم ومعتقدات وسلوك سياسي، فيتشكل لدينا ما يمكن أن نطلق عليه، الثقافة السياسية"[٥]، فالوقوف على مضامين مفهوم الثقافة وعوامل ومعطيات تكوينه وهي ليست كحالة خالقة لما يحيطها من معطيات قادرة على تشكيل ملامح الأشياء والنظريات من وحي هذه الثقافة أو تلك من أُسسها ومرتكزاتها، بل هي أيضاً تعد بوصلة مهمة أو لنقل أداة مؤثرة في أتجاهات عدة ولاسيما خلق الرأي العام أو الانطباعات السائدة عن الأشياء ومنها السياسية ، "أن الثقافة تجذب أهتمام رجال السياسة ولا يعني هذا أن الساسة هم دائماً رجال ثقافة بل أن الثقافة تعتبر أداة للسياسة، كما تعتبر من المنافع الاجتماعية التي تعمل الدولة على رعايتها، ولا يقتصر الأمر على أننا نسمع من جهات سياسية عليا أن العلاقات الثقافية بين الأمم ذات خطر عظيم، بل أننا نجد المكاتب تنشأ والموظفون يعينون خصيصاً لتعهد هذه العلاقات، التي يفترض أنها تقوي أواصر الصداقة بين الأمم، وينبغي أن لا تذهلنا حقيقة أن الثقافة أصبحت، بوجه ما، قسما من السياسة"[٦]، أن الفعل السياسي لا يمكن أن تخرج عن كونه نمطاً اجتماعياً وهو في إطار النشاطات الاجتماعية وهذه الأنماط الاجتماعية هي تعد كوحدة واحدة ما بين هذا السلوك والنشاط وما بين خلفياته التي تتسم بمصدردية وجود هذه الأفعال جمعاء ، ومنها الثقافة بإطارها العام والثقافة السياسية على نحو التخصيص لهذا المعنى في مدركه السياسي ومن هنا جاء موضوع أن الثقافة في أتجاهين:[٧]

---

[٥] ينظر : عبد العظيم جبر حافظ ، التحول الديمقراطي في العراق والواقع والمستقبل، ط١، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراق، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢١١.

[٦] ت. س. إليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، ترجمة شكري محمد عياد، ط١، التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤، ص ١١٥.

[٧] عمر النوصي الشيباني،التربية وتنمية المجتمع،ط١،الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٥، ص ٢٦.

أولهما: الثقافة السياسية التي تهتم بأمور الناس، بالذات فيما يرتبط بالحريات والرأي والتصويت أو كحرية ممارسة الطقوس المذهبية والدينية وتندرج تحت هذا النوع قسمان:-

١. ثقافة تنطلق نحو التحرك والانطلاق والسعي إلجاد للتغيير والاطلاع.
٢. ثقافة تُنشر نحو الأرض وتكرس فيهم روح التبعية والخوف والتراجع والخلود نحو الراحة.

ثانيهما: الثقافة الاجتماعية التي تتلخص في الأعراف والتقاليد التي يَبنى عليها المجتمع حياته عليها بما يضمن سعادته ورفاهيته في ظل قوانين يتمسك بها الجميع دون وصاية أحد وهنالك نوعان منها:-

١. ثقافة تدعو لتحكيم العقل والمثل القبلية كالتعاون والترابط والمحبة.
٢. ثقافة تشد الناس نحو السلبية والتفكك والانعزال وزرع روح الهزيمة.

وهنا تكون السياسة في إطار عام كتجلي واضح لمفهوم الثقافة ، والسياسة في منظومة أجتماعية ما كمتأثر بتلك المنظومة الثقافية، وهنا من هذا الوحي والأتجاه يمكن أن نضع الثقافة في عدة أنواع حين الأخذ بواقع الثقافة كنوع:

١. الثقافة السائدة وهي الثقافة العامة التي تشمل السلوك الأجتماعي بمختلف طبقاته وأنتماءاته.
٢. الثقافة المقولبة أو المنمطة، وهي الثقافة التي تنحصر بمعطيات معينة كالثقافة الدينية.
٣. الثقافة المرسخة أو المتوارثة ، وهي الثقافة التي تمتلك هويتها من خلال الفلكلور والمعتقدات الأجتماعية.

٤. الثقافة العملانية أو السلوكية ، وهي الثقافة المقترنة غالباً بالمهن والحرف المتعارفة.
٥. الثقافة الحضارية: وهي الثقافة تقترن بالحضارة المختصة بمجتمع ما وقد تتكون حسب المعنى العام لمفهوم الحضارة كاللغة والدين والجغرافية.
٦. الثقافة الوافدة: وهي الثقافة التي تمتلك أدوات قهرية قادرة على إزاحة الثقافة المحلية كدولة العادات والتقاليد وامتزاج الهويات.

وهنا نتحدث لا عن مفهوم حيز التنظير والتفكيك له بمرتكزاته ومخرجاته بل نتكلم عن مفهوم له دور في التأثير المباشر بأتجاهات عدة على نحو العموم وفي السياسة على نحو الخصوص، "أن الثقافة السياسية ليست هي كل ثقافة المجتمع وإنما هي الجانب السياسي من ثقافة المجتمع"[٨]، وكذلك كما يرى ديفرجية موريس " الثقافة السياسية هي جزء من الثقافة السائدة في مجتمع معين غير أنها بمجموع عناصرها تكون تركيباً منظماً ينضوي على طبيعة سياسية"[٩]. من ما تقدم كيف لنا أن نضع الثقافة في واقعها السياسي والوظيفي في المدرك ذاته من أبعادهِ السياسية وهذا يتأتي إِذَا ما نظرنا إِلى مدى وجود هذا العامل (الثقافي) في الحالة السياسية على مستوى الفكر والتأثير في ذلك الواقع ، وهنا يمكن أن نلخص هذا التفاعل إِذَا ما أردنا أن تقارب رؤيتنا بهذا الأتجاه وهي تتلخص بعدة صور:-

---

[٨] قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الثقافي، مشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، ط١١، المعارف للطباعة والنشر، الإسكندرية، د ت، ص٢٠.

[٩] نقلا عن : عامر حسن فياض وناظم عبد الواحد الجاسور، ثالوث المستقبل، الديمقراطية ، المجتمع المدني، ط١، أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات، ٢٠٠٢، ص ١١.

١. إسهامتها في رفد مبادئ ورؤى وأفكار الحالة السياسية ، من مؤسساتها وطبيعة إداراتها والكيفيات التي يمكن أن تكون عليها من واقع مصدرية تلك الثقافة.
٢. تكون الثقافة فاعلة في الواقع السياسي مرة في تأسيسها الفكري ومرة في الحاجة ، أي أن الثقافة تعتبر في أحيانها عن الحاجات التي تعكس ملامح تكوين تلك الثقافة وهذا ما يدخل بحيز المشاركة السياسية.
٣. الإنتاج المعرفي بلحاظه السياسي وهو التحليل والتنظير لمختلف الفعاليات السياسية بما يكون فيه وعي في تحصيل الممكنات من ذلك التفاعل السياسي.

المطلب الثاني: الثقافة وإنتاج المفاهيم السياسية

يتناول الفكر السياسي المفاهيم التي تتعاطى مع واقع النشأة وتكوين هذه الأفكار والمفاهيم من حيث بناء الدولة– شكل السلطة وطبيعة النظام السياسي والقانون الذي يحكمها وعلاقة الحاكم بالمحكوم.... الخ، لكن من جهة أُخرى يمكن لنا البحث في مكونات تلك الفكرة السياسية ودوافع إيجادها والحاجة إليها، هنا لابد من أن العامل الثقافي ببعده الاجتماعي والانثربولوجي يضع بصمة في تكوين تلك الأفكار من حيث سيرورتها ووجودها التنظيري والحاجة لها على مستوى التطبيق، وهنا ينظر إليها كحالة كلية للجزئيات التي تشكلها بمجموع العوامل (الدينية والاجتماعية والاقتصادية)، وهذا بكليته يعد المُخرج الطبيعي للنظم السياسية، لذلك تعددت وتنوعت الأنظمة السياسية بتعدد خلفيات إنتاجها الفكري ووجودها ، فالمجتمع والواقع الثقافي لهذه المجتمعات ، وما يسلط من هذا العامل في إنتاج واقع الفكر والمنهج السياسي في اختلاف أنواعها ووجودها، فالثقافة هي من تحدد هوية للانطباع والتوجه، وهذا ما ينعكس بطبيعته على كل

مكونات السياسة "أن الدولة تعني أشياء مختلفة باختلاف الناس" وسرعان ما يكشف أي مسح للدراسات ذات الصلة عن الانطباع الجلي بأن كل مفكر مبدع نظر إلى الدولة بطريقة متفردة، تتراوح من نسبة دافع أخلاقي عضوي إليها (هيغل اوتو غيركة، إلى اعتبارها قائمة على القانون الطبيعي وحالة الطبيعة (هويز وشميث)، وقد اعتبر مراكس الدولة نتاجاً للسيطرة الاقتصادية لطبقة ما على طبقة أُخرى، بينما نظر إليها (كلس) بوصفها ظاهرة قانونية أساساً، ورأى فيها شميث تجسيداً للسياسي، في حين وجدها (غرامشي) نظاماً للهيمنة، ووجد (فوكو) وما بعد- البنيويين أنها تخترق التقاضي وتتخلله على نحو عميق ومهم)[١٠] أذن نحن نقف أمام تنوع في القياس وفي التعاطي وهو منشأ مرتهن إلى واقع وطبيعة أجتماعية تعكسها ثقافة ذلك المجتمع، وجاءت وفق هذا المنظور بأن الثقافة السياسية "نمط من القيم والمعتقدات والأتجاهات العاطفية التي تسود لدى أفراد المجتمع أو الجماعة"، فالمفاهيم العامة في شؤون حياتية عامة ومنها السياسية تؤلف معاً نمطاً للقيم الذي يرتبط أرتباطاً وثيقاً بمعتقداتهم حيال ما هو قائم في عالم السياسة، وهذه العواطف تكون فاعلة في تعزيز هذه القيم والتصورات"[١١]، وهذا البعد في مضامين التطبيقات السياسية الخارج والناتجة عن ما هيأت المفاهيم والنظريات السياسية الخاضعة بحال أو بآخر بمدى توثق الحياة الأجتماعية بواقعها في تجسيدات هذه الثقافة لأي مجتمع ، فالرؤية بمداها الفلسفي للواقع السياسي هي مرتبطة أيضاً بجوهرية مدركات الفلسفة والمعززة لها وتعد فرعاً من فروعها الاجتماعية "فالفلسفة السياسية، هي

---

[١٠] وائل ب. حلاق، الدولة المستحيلة الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، ترجمة عمرو عثمان، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، ص ٥٩.

[11] Eric Row, Modern politics: An Introduction to Behavior and Institutions, London, Rout ledge and Kegen, Paul, 1969, p.12.

ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي يركز بحثه حول اكتشاف الحكمة والحقيقة المتعلقة بالمبادئ الأصولية للحياة السياسية، ومعرفة علاقات هذه المبادئ بعضها ببعض، وعلاقات المبادئ السياسية، بمبادئ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبتعريف آخر تعني الفلسفة السياسية: توليد وتركيب الآراء، والمعلومات، والتأملات، والافتراضات، والقواعد، والتعميمات المتصلة بتوزيع وأستخدام القوة في المجتمع"[١٢] ، ووفقاً لهذا التجلي لمفهوم الثقافة السياسية ودورها المتبادل مع المجتمع من حيث التأثير والتأثر يمكن للثقافة ووفق هذا المنظور أن تتسم بسمتين واضحتين:

الأوَّلى: أن الثقافة السياسية تكون متوغلة وعميقة من حيث أرتباطها بالرؤية العامة أتجاه السياسة، وهذا نابع من كون المجتمع متلقي لإنعكاسات الفعل السياسي عليه، وهو ما يجعله مولداً لملامح التعاطي مع طبيعة وأسس ذلك النظام ، الذي تشكله هوية وسمات تلك الثقافة من جهة ، ومن جهة أُخرى تجلي مخرجات هذا التفاعل كثقافة آنية وواقعية ملموسة لطبيعة المجتمع جراء الممارسات السياسية .

الثانية: أن الثقافة لها صفة الثبات بالمعنى العام ، بينما السياسية تمتاز بالطابع المتغير، إلا أن ميزة السياسي وان كان ذا طابع متغير تكون الأقدر على التأثير وصناعة وترسيخ الدعائم الثقافية ، لأن أدوات التعبئة تكون حاضرة عندها ، على العكس من الثقافة بالصورة العامة تكون مشتتة التأثير وهي غير فاعلة على الأمد القصير في لعب دور فاعل إزاء الواقع السياسي. لذا تكون الثقافة السياسية من هذا الوحي هي السياسية المرتبطة بكينونة وجود السلطة وتحمل ثقافة وتوجهات تلك السلطة.

---

[١٢] محمد وقيع الله احمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، ط١، دار الفكر،دمشق،٢٠١٠، ص ٤٠– ٤١.

وهذا المعنى يشير إليه أحد الباحثين: "وأنا أُدرك حق الإدراك أن المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية لا يمكن فصل بعضهما عن بعض وأدرك حق الإدراك أن أي "إحياء للثقافة المحلية يترك هيكل البناء السياسي والاقتصادي دون تغيير هو عمل يكاد لا يعدو التعلق بالقديم وتثبيت دعائمه بطريقة صناعية، فالشيء المطلوب ليس إحياء ثقافة اختفت، أو إنعاش ثقافة في سبيل الأختفاء، في ظروف حديثة ستجعلها مستحيلة، بل إنماء ثقافة معاصرة من الجذور القديمة"[١٣]، ومن هنا يمكن القول أنه لا يمكن أن توجد ثقافة سياسية من دون ثقافة المجتمع الأم فالعواطف والرؤى والمبادئ والتصورات هي جزء من النظام السياسي في كل مجتمع، وهذا يجعلنا أمام تصنيف لجوهر وماهية الثقافة من حيث أرتباطها بالطبقة التي تنتمي لها، وهي على نوعين:-

الأوّلى : الثقافة السائدة ، وهي الثقافة المقترنة بجملة مكوناتها وموروثاتها المتعددة من أنماط سلوكية ومعتقدات حياتية وصولاً إلى المكتسبات من قيم وعادات فرضتها عليها الظروف الأمنية والمعاشية لكل مجتمع.

الثانية: الثقافة النحيوية، وهي غالباً ما تتصل بالطبقة الحاكمة التي هي بدورها تتوزع من طبيعة نخبة سياسية لأُخرى وحسب ما تؤمن به من سواء كانت يمينة كالثبات على الأنماط السياسية التقليدية أم يسارية كالتحول من قيم موروثة لأُخرى مكتسبة وصولاً إلى أمزجة هذه النخب في ميلها إلى الأنظمة التعددية أم الشمولية .

ومن هنا نجد أن الثقافة كيف لها أن تتفاعل مع المقتضيات السياسية بصفتها التي تتمركز بالصياغة والتأثير على مجمل الأفكار التي تتسم بطابعها

[١٣] ت. س إليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، ترجمة، شكري عياد، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٥٩.

العام الأجتماعي أو السياسي وهذا الواقع لمفهوم الثقافة جاء من عدة أمور أعطت لمفهوم الثقافة هذا الدور في التلازم مع الواقع السياسي:

١. أن الثقافة من أهم المعايير التي يقاس عليها الواقع السياسي بمضمونه الفكري وأتجاهه ونموذجه الذي يسير عليه في تحديد أولوياته ومتبنياته.
٢. المجتمع السياسي لا يمكن له لعب دور بوصفه النواة الحقيقية لمدخلات ومخرجات المشهد السياسي لأي سلطة ، دون النظر إِلى من انشائه وجعل له هذا الدور وهي الثقافة التي رسخت التعاطي مع المجال السياسي ووفق الدوافع الثقافية.
٣. أن الثقافة هي عامل الديمومة إِذْ إن هوية السياسة بمعناها العام هي الاقتران بمجالها الحيوي كالسلطة وإنموذج النظام السياسي لا يمكن أن يكون صالحاً لفئة دون الاقتران بثقافتها.
٤. أن الثقافة عامل أساس في توجيه تطبيقات النظام السياسي وكيفياته ونمذجة هذا النظام وفق ذلك المعنى الثقافي.
٥. أن الثقافة هي مركزاً للتمازج الأجتماعي وتكوين المجتمعات ، وبالتالي هي مؤسسة في تكوين التربية والتنشئة والأستقرار الأجتماعي ، وهذه بدورها مرتبطة بوثاقة بالتكوين السياسي.

المبحث الثاني: الثقافة السياسية كمؤثر في صياغة الأيديولوجية

المطلب الأوَّل: التنشئة السوسيولوجية الحاضن الفكري لتجليات الثقافة السياسية

يمكن النظر إِلى الثقافة السياسية ببعدها المفاهيمي أنها مرتبطة بوثاقة بنطمها الأجتماعي ومنشأ تلك الحالات الأجتماعية بكافة تلازماتها من تطور وعلاقات على هذا الصعيد. وإن هذه الثقافة تتجذر بعودتها إِلى موضوعة

(الثقافة العامة) ، لِذا تكمن أهمية التنشئة الاجتماعية كونها "عملية تعلم يكتسب الأفراد بمقتضاها مجموعة التوجهات وهي من المنظور الأجتماعي بمثابة السبيل إلى الإبقاء على أو تغير الثقافة السياسية"[١٤] ، ولم تعد الثقافة (التقليدية) وليدة بيئتها بل هي اليوم باتت متأثرة بكل عوامل التغيير المحيطة بدءاً من طرق التعليم والتنوير التكنولوجي والفاعل الأقتصادي الذي تجلى الى مراحل ما بعد العولمة "أن التحولات الثقافية التي أصابت البشرية خلال السنوات العشر الماضية وفرضت على مجتمع الدولة قدراً من الانفتاح ، بل إن هذه التحولات نفسها باتت تسلب من الدولة القطرية الكثير لصالح قوى وسلطات فوق قطرية أو كونية ومن هنا جاءت تغيرات الغزو والاختراق مقترنة من وصف علاقة الوطن العربي بالآخر الغربي أو بما يسميه بعضهم بالثقافة الكونية أو عولمة الثقافة "[١٥]، **(وصفاً ومثالاً لِما قد تكون عليه صورة الثقافة اليوم)** ، ويمكن بالتمازج بالبعد الكلي للفكرة المطروحة أن نقف على أن الثقافة السياسية لم تعد تلك الثقافة المكفية على ذاتها بل هي اليوم بأبسط حالاتها عبارة عن توجهات متأقلمة مع محيطها ، وهنا لابد لنا من توضيح الإشارات التي جعلت من الثقافة وبحسب مصدرها السوسيولوجي هي ذات دور من وحي هذا المصدر المنبعثة منهُ والذي يقترن بالسياسة (الثقافة السياسية)، وهذه الإشارات يمكن تمحورها بالاتي:-

---

[١٤] نقلاً عن : عبد حافظ سالم، مبادئ الثقافة السياسية (دراسة اجتماعية تحليلية مقارنة)، ط١، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١١، ص ٤٠.

[١٥] اياد رشيد محمد الكريم، العولمة وإنعكاساتها الثقافية على الوطن العربي، ط١، تمـوز للطباعـة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٦، ص ٥٨.

١. الهوية الوطنية، والتي هي واحدة من دعامات الأنتماء والمشاركة السياسية، وهذه بحد ذاتها ركيزة لأي نظام سياسي في الوقوف على الشرعية والمشروعية لهُ ، التي تقترن بماهية العلاقة ما بين الحاكم والمحكوم في رسم ملامح السلطة والوصول لها.
٢. طبيعة النظام السياسي وسلوك الحكومات فهي بحال أو بآخر إنعكاس للمطالب والمتطلبات التي تقترن بأي مجتمع صغر هذا المجتمع أم كبر، لكي تكون هي بالتالي واحدة من مُلبيات طموحه.
٣. عامل التأسيس للأفكار التي تُسيير الدولة والحكومة والمتمثلة بتلك الأيديولوجية التي تعد بالنهاية هي مجموع الأفكار والآراء التي أنتجها المجتمع.

"وعلى الرغم من أن ظواهر التماس الثقافي لم يتم تجاهلها تماماً فان من الغريب، حتى تاريخ متأخر نسبياً، أن نزراً قليلاً من الأعمال كرس لما يجري من تغير ثقافي في صلته بهذا التماس الثقافي، لقد اهتم علماء الأنثربولوجيا الأنتشاريون حقاً بظواهر الاقتراض وتوزيع "السمات" الثقافية انطلاقاً من (بؤرة) ثقافية مفترضة، ولكن أعمالهم كانت تعني بنتيجة الأنتشار الثقافي ولم تكن تصف إلا الحال النهائي لتبادل يُتصور في اتجاه واحد، فضلاً عن ذلك، فان الأنتشار، مفهوماً على هذا النحو، لم يكن يفترض، ضرورة، تماساً بين الثقافة المتلقية والثقافة المانحة"[١٦]، ووفق جميع ما تقدم فان الثقافة هي المُعبر عن السلوك العام للأفراد والجماعات وفي شقيها الاجتماعي والسياسي، فالثقافة بصورتها المقترنة بالسياسة هي ذات عناصر تميز فعلها وأدائها في مجالات

[١٦] دنيس كوس، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٨٩.

متعددة أيضاً متصلة بمفهوم الديمقراطية وأدائها ، حيث أن الثقافة السياسية قد تتسم بالديمقراطية كحالة في حيوية (الثقافة السياسية) على نحو من العملانية وتتشكل من عناصرها وهي:[١٧]

١. الشعور والأقتدار السياسي: أي شعور المواطنين بالقدرة على التأثير في مجريات الحياة السياسية من خلال توجيه النقد للمسؤول وإبداء الرأي في مختلف القضايا التي تواجه المجتمع.
٢. الاستعداد للمشاركة السياسية : أي المشاركة في أغلب المواطنين في صياغة السياسيات وأتخاذ القرارات وأختيار الحكم وأعضاء المؤسسات التمثيلية على الصعيدين المركزي والمحلي.
٣. التسامح الفكري المتبادل: أي السماح لكافة الآراء والتوجيهات بأن تعبر عن نفسها دون قيود طالما لا تشكل تهديداً للنظام العام.
٤. توفر روح المبادرة : سواء لمناقشة الظلم والطغيان أو المشاركة في الجهود الإنمائية.
٥. لا شخصانية السلطة : أي الاعتقاد بان السلطة السياسية مودعة في مؤسسات وغير متوحدة مع شخص الحاكم.
٦. الثقة السياسية : أي الشعور بالثقة المتبادلة بين المواطنين والنظام السياسي وكذلك بين المؤسسات السياسية المختلفة.

"أن دراسة (الثقافة السياسية) تستدعي النظر إليها باعتبارها متغيراً أو عاملاً وسيطاً بين النظام العام السائد ومختلف البنى الأجتماعية المكونة له وبين

[١٧] للمزيد ينظر : كمال المنوفي، الثقافة السياسة للفلاحين المصريين، تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ٦٧- ٦٨- ٦٩.

السلوك الفعلي في الحياة اليومية، بهذا المعنى الثقافة السياسية : هي نتيجة للنظام السائد تستعمل كأدوات تنظيم العلاقات فتسوغ الواقع وتعمل على اجلائه في صور معينة أو تبحث على إحلال التغير فيه ، ولهذا فلا مناص من النظر إلى الثقافة السياسية في اتصالها بالواقع بل وعلى أنها تنبثق عنه".[١٨]

ويمكننا القول أن التنشئة الأجتماعية عبارة عن تفاعل الفرد مع محيطه الذي يشكل معه دور تفاعلي لإنتاج وعي مشترك يتسم بالثقافة، وهذا الإنسان بفطرته ولد سياسياً في مجريات حياته ومخاضات معيشته التي تولدت لديه عَبر تجاربه المتعددة، "فالتنشئة الأجتماعية كونها تعبيراً عن تبادل الذات الاجتماعي ونقلهِ عَبر الأجيال، بالتوافق مع بناء الذات للفرد المواطن داخل هذا المجتمع، فهي كعملية تلمس وتتطرق إلى مختلف جوانب حياة الفرد يحيا فيه، و أحد هذه الجوانب هو التنشئة السياسية كمدخل نحو ثقافة الفرد السياسية وتشكلها"[١٩] ، ووفق ما تقدم لا يمكن بناء مجتمع سياسي دون وجود للثقافة السياسية التي هي في النتيجة انعكاس لهذا المجال من الثقافة السياسية "فمحتوى الثقافة السياسية سينعكس على شكل المجتمع الذي ستتم إقامته، فكلما كانت الثقافة السياسية ثقافة قبلية على سبيل المثال فأن شكل مؤسسات الدولة والمجتمع المدني ستأخذ الطابع ذاته وتتبناه في سياستها العامة اتجاه المواطن، وبالمقابل إذَا كانت الثقافة السياسية للأفراد والجماعات داخل المجتمع هي ثقافة ديمقراطية سينعكس بالضرورة على شكل مؤسسات النظام السياسي الناتجة وهي مؤسسات ديمقراطية، من هنا يمكننا الاستنتاج بقدرة الثقافة السياسية التأثيرية على النظام

---

[١٨] ينظر :حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٢٣.

[١٩] احمد ظاهر،ابجديات علم السياسة، ط١، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٤، ص ٢٨٦.

السياسي وإرشاده وتغير توجهاته، ما ينعكس بالتالي على شكل المجتمع فـدورها وتأثيرها لا يقل عن دور وقوة الدولة وتأثيرها، والسياسـات العامـة لمصـلحة الدولة"[٢٠] ، وان هذه الثقافة السياسية المنبعثة من مرتكزها الأجتماعي يمكن أن تصنف الى :

الأوَّل: الثقافة السياسية الأصيلة : وهي التي تتولد من محيطها وتتميز بميـزات ذلك المحيط كالأنتماء العرقي واللغة وبواعث الهوية الجمعية للمجتمـع كالدين والأعراف والتقاليد.

الثاني: الثقافة السياسية المنفتحة : وهي تلك التي تتأثر بـالتطورات المصـاحبة للتزاحم الجيلي واثر العلوم والتكنولوجيا عليها.

المطلب الثاني: الثقافة السياسية وتأثيرها الأيديولوجي.

عندما نتحدث عن الثقافة فإننا نتحدث بطبيعة الحال عن المعارف الإنسانية والسلوكيات التي يكتسبها الفرد في ظل أي مجتمع، وهذه الأمور مجتمعة تسهم في إنتاج حزمة من التصورات عند ذلك الفرد، من عادات وأخلاق ومفاهيم تعكس أفعال ذلك الفرد وبالتالي ذلك المجتمع ، ويمكن الإشارة إلى أن " الثقافة تتكون من مجموعة معارف ومعتقدات تسمح للأفراد بإعطاء معنى للتجربة الروتينية لعلاقتهم بالسلطة التي تحكمهم كما تسمح لكل منهم بتحديد موقعه في مجاله السياسي المركب وذلك من خلال تعبئة حد أدنى من المظاهر الواعية أو غير الواعية التي ترشده في سلوكه كمواطن"[٢١] ، فالثقافة بإطارها العام هي إقتران واقعي مع الفكر وبالتالي هي نتيجة متقابلة ما بين الفكر والأيديولوجية، "فالإيديولوجية هي التكوين الفكري الذي يتسم بالتكامل ويتضمن مجموعة

---

[٢٠] المصدر نفسه، ٢٣٢.

[٢١] مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، ط١، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ٢٠٠٧، ص ١٨٢.

معتقدات، ويحدد أهداف معينة وسبل الوصول إليها"[٢٢]، وهذه الجملة من المعتقدات هي الأساس في تحديد الأوَّليات الفكرية ، بالرغم من كون الأيديولوجية هي إنشغال الميدان السياسي في غالب نقاشاتها " إن الأيديولوجية السياسية ممكن فهمها بشكل أفضل على إنها تنظير أصحاب السلطة، والستراتيجيات المتاحة في الميدان السياسي " [٢٣] ، وأيضاً تكون المرتكز الأساس في الانطلاق في الرؤى وكذلك تحديد الممارسات والسلوكيات التي يقوم بها الأفراد، "البشر هم أنفسهم الذين ينتجون تصوراتهم وأفكارهم وبالتالي فإن وجود الإنسان مشروط في نوعه وشكلة بالبيئة الأجتماعية والأقتصادية التي يوجد فيها، إذْ يلجأ الإنسان إلى تحويل العلاقات المادية إلى مفاهيم، وهذا ما يدفع الممارسة المادية إلى أن تأخذ شكل الممارسة الفكرية عبر تشكل المفاهيم"[٢٤]، وعند البحث في ماهية الثقافة كفاعل في إنتاج (الفكرة) والإيديولوجية فنحن نصف وببساطة الجنبة الفكرية من عامل الثقافة بإطاره المفاهيمي، يمكن أن نشخص مما سبق أن الفاعل الثقافي في إطار تكوين الحالة الأيديولوجية يمكن أن نتناوله من عدة معطيات:-

١. الإطار الثقافي العام : وهي عبارة عن الترابط بين السياقات الثقافية وإنعكاساتها المختلفة ، وهذا التوجه مرتبط بالفرد وصولاً للمجتمع ويشكل حالة التواصل بين نشوء الفكرة ومصادرها من الثقافة الفردية وصولاً إلى تجلياتها، الاسهامة في (صناعة) الإيديولوجية.

---

(22) Charled Andrain, Pditical life and social changs: An Introduction to Political science California wadswarth Pub com, Inc, 1994, pp81- 82.

(٢٣) John Levi Martin, " What is ideology ", https:// home. uchicago. edu, University of Chicago , Chicago, Illinois, United States of America, 2014

(٢٤) عبد الغني عماد، مصدر سابق، ص ٥٤.

٢. الشعور والعاطفة : وهنا تكون الثقافة متمظهرة بمجموعة الأنفعالات من استساغة أو نفور من الأشياء والمحيطات الوجودية المختلفة ، التي تكون الأنطباعات إزاء الموجودات وبالتالي التنظير أتجاهها عبر هذه المنظومة من دينامية التفاعل المتبادل.

وتلعب الثقافة بمفهومها السياسي دوراً تفاعلياً ما بين التأثير والتأثر من حيث الأنسجام مع خضوعها العام وأُخرى على نحو يوصف بأنه حالة من تعاطي الفرد مع ما يراه موافقاً لتطلعاته وآرائه على مستوى الشخصانية وهذه الأوجه بين الأيديولوجية والثقافة السياسية يمكن تحديدها بالاتي:-[٢٥]

١. أن الثقافة السياسية اعم واشمل من الأيديولوجية حيث تشتمل بجانب الإطار الفكري الرسمي الذي يحكم حركة النظام السياسي، على القيم والاتجاهات وأنماط السلوك السياسي السائد في المجتمع بكافة فئاته، فعلى سبيل المثال، كانت الثقافة السوفيتية تتكون من نمطين ثقافيين أولهما الثقافة الرسمية للنظام السوفيتي السابق المتمثلة في الماركسية اللينينية،.... والنمط الثاني الثقافة غير الرسمية التي تتمحور في الأتجاهات التقليدية ، التي ترجع إلى العهد القيصري والأتجاهات المصلحية التي ولدتها التحولات الاجتماعية التي شهدها المجتمع منذ ثورة ١٩١٧.
٢. أن الأيديولوجية عادة ما تتخذ موقف الرفض من القيم السائدة في المجتمع حال الأخذ بها ، حيث تطرح من جانب النخبة الحاكمة كبديل لهذا النسق.
٣. ليس من الضروري أن يوجد تناغم بين الأفكار المذهبية التي يرددها المرء وبين معتقداته وأنماط سلوكه الفعلية، إذْ قد ينضم الفرد إلى جزء ما ليس

[٢٥] للمزيد ينظر: كمال المنوفي، مفهوم الثقافة السياسية نظرية تأصلية، ط١، المركز الدولي للدراساتالمستقبلية والاستراتيجية، القاهرة ،٢٠٠٨ ،ص ١٣-١٤.

أستجابة لتفضيل أيديولوجي معين ، ولكن بدافع المصلحة الضيقة أو تحت تأثير الأسرة والأصدقاء أو زملاء العمل.

وهذا لأن الثقافة السياسية أُس التوجهات بصورة عامة تكون خاضعة للثقافات التي تتأسس عليها الفكرة السياسية ، وتكون بتوجهات عدة تصنف حسب طبيعتها وما يمكن لهذا التوجه من إظهار دور وواقع الثقافة بصورته الأيديولوجية:-[٢٦]

١. التوجهات نحو الذات: وهي تعني ذاتية التأجيل الفكري والمنظومة الفكرية المحددة التي تشكل توجهات الذات والهوية الخاصة ، أو المميزة لها كونها مكتسبة ، وبقدر ما يكون هذا التأصيل الفكري مرن كلما كان قبول التعبير سريعاً وملموساً والعكس صحيح.
٢. التوجهات نحو الآخرين: وهي التوجهات حول فهمنا للآخر واستيعابنا له، وفهم الآخر لنا واستيعابنا، وهو ما يجب أن يكون واضحاً بما لا يدع مجالاً للشك من خلال الدستور أو الإطار الذي تعتمد عليه أو تستمد منه ثقافتنا السياسية فكراً وممارسة.
٣. التوجهات نحو النسق السياسي: وهي مدى قبولنا للنظام السياسي القائم أو رفضه. والذي سيحدد مدى فعاليتنا داخل النظام السياسي، وفي كوننا مشاركين في العملية السياسية وفي النظام السياسي، أم أننا سلبيين وبعيدين كل البعد عن المشاركة وهي مرتبطة وبشكل كبير بالمعتقدات التي تتبناها

[٢٦] نقلاً عن : وسام محمد جميل صقر، الثقافة السياسية وانعكاسها على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجامعي في قطاع غزة ٢٠٠٥- ٢٠٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٠، ص ٣٢.

ومدى توافقها مع دستور الدولة من جانب ، وممارسات النظام الحاكم من جانب آخر.

أن كل ما يمكن النظر إليه في ظل الثقافة وكونها فاعل في صياغة الأيديولوجية السياسية هي تكمن بعدة ظواهر أو تجليات على الصعيد السياسي ، والتي نشأت مقترنة على نحو وثيق بالأيديولوجية (كالمشاركة، والهوية والانتماء، القومية، الديانات والمثيولوجيا)، ومفهوم المشاركة على الرغم من تلازميته مع الواقع من حيث كونه ممارسة فهو يعبر بحال واضح عن إنعكاسات الأنطباعات والتصورات حول الأشياء وهو ما يصدر عن المسلمات الثقافية وبالتالي هي تجلي من تجليات الأيديولوجية، وتكون الهوية والأنتماء متبعة بالعاطفة والميل نحو المحيط الذي ينتمي له الفرد وهذا ربما يتجلى وبصورة لا تقبل النقاش بمفهوم المواطنة ببعده السياسي من حيث التكوين للفكرة وبزوغها، وهذا يعزى إلى ثلاثة أبعاد للفرد أتجاه النظام السياسي:[٢٧]

١. الإدراك (cognition): ويعني مدى معرفة الأفراد بنظامهم السياسي والبنى التي يحتويها والأدوار السياسية في جانبي المدخلات والمخرجات والمعتقدات بشأنه.
٢. المشاعر (effect): وتعني الأحاسيس والعواطف التي يحملها الفرد تجاه النظام السياسي والسلطات والسياسات العامة.

[٢٧] وسام محمد جميل صقر، مصدر سابق، ص ٢٨.

٣. التقييم (evaluation): ويعني الأحكام والآراء التي يحملها الأفراد تجاه النظام السياسي والأدوار السياسية المختلفة وتقييمهم لأداء النظام السياسي بصفة عامة بالقيم والأحكام السياسية.*

وقد تعانقت هذه المبادئ المنتمية في جوهرها للثقافة مع مختلف التوجهات الفكرية والأيديولوجيات المتنوعة "إذْ شكلت الماركسية التحدي الآخر للثقافة السياسية والتنشئة الأجتماعية السياسية حيث تنكرت مبدئياً لوجود أي استقلالية للمؤسسات الحكومية والحقيقة السياسية أو للفكر السياسي الجمعي على أية حال طبقت النظرية الماركسية أساساً في الأقطار النامية سلبياً والثقافات السياسية الخاضعة والرعوية، وأدى ذلك إلى فرض تطبيقات التنشئة الأجتماعية السياسية السلطوية وفصل بين السياسة ونطاقها الخاص والحياة العامة للفرد"[٢٨]. كمثال واضح على أن الثقافة تشغل حيزاً ديناميكياً في توجيه وتحديد الأفكار وبناء الأيديولوجيات وهي ذات تأثير واضح في الحياة الأجتماعية حيث

* أن اسهامة الثقافة بصفة عامة لم تكن منفكة عن نشأت وصياغة مفهوم الايديولوجية ومنذ ظهورة بصفة عامة والتنظير له، أستخدم مصطلح الأيديولوجيا بدلالات متعددة، كان من بينها أستحدامه كمرادف لعلم الأفكار، ولعل أوّل من وظف مفهوم الأيديولوجيا (Ideologia) بمعنى علم الأفكار هو الفليسوف الفرنسي ديستون دي تراسي (١٧٥٤– ١٨٣٦) الذي كان ينتمي إلى وسط المثقفين الفرنسيين ذوي النزعة الانوارية، أي التي ترتبط بدراسة أصول الآراء والأفكار وطبيعتها وتطورها، واستعمله بعد ذلك نابليون بشكل سلبي للحط من شأن هؤلاء المثقفين الأحرار أصدقاء دي تراسي امثال الفيلسوف الحسي كابانيس (cabanis) والأخلاقي قولني (Volney) وقد أرتبط معظم هؤلاء بالثورة الفرنسية وتأثروا بالتقليد التجريبي للمعرفة وفلسفة الانوار وبمناهج الفكر الميتافيزيقي الذي يمثل في نظرهم طفولة الإنسانية، وكانوا مولعين بتقدم العلوم الطبيعية ومن الداعين إلى إقامة نظام سياسي تربوي جديد. ينظر عبد الغني عماد، مصدر سابق، ص ٥٢– ٥٣– ٥٤–٥٥– ٥٦–٥٧.

[٢٨] ينظر: رعد حافظ سالم الزبيدي، مبادئ الثقافة السياسية دراسة اجتماعية تحليلية مقارنة، ط١، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣.

أنها تمكن الفرد من إتخاذ مواقف من وحي التفكير وتوجيه المشاعر التي يلبي بها طموحه بحال أو بآخر، فهي خليط ما بين الموروث الأجتماعي ومجموع المكتسبات من واقعه المعاش، وهذا المفهوم للثقافة يمكن أن يشكل تكويناً بنوياً للأيديولوجية من عدة أوجه:-

١. الشعور الذي ترتكز عليه الثقافة ، هو مصدر تكامل الهوية المقترنة بمفاهيم أساسية اليوم كالقومية والمواطنة التي يشكلان عنصراً فاعلاً من مبدئيات كل أيديولوجية.
٢. الثقافة الموجهة ، وهي الثقافة التي تنمطت مع سلوكيات ومخرجات الحكومة التي بالتالي هي متعلقة بنوع وتأثير الأيديولوجية.
٣. الثقافة المتناغمة أو المتنافرة مع السلطة ، وهذه الثقافة هي التي تحدد معالم الأيديولوجية كونها خارجة من حيز التنظير إلى حيز التطبيق.
٤. ثقافة المشاركة، وهي التفاعل الأجتماعي مع المؤسسات التي تعكس توجه الحكومة إزاء شعبها، وهذا الوجه من الثقافة يميز مدى دور الفرد في صناعة القرار السياسي وهذا بالتالي علامة فارقة في تحديد ماهية الأيديولوجية الملبية لطموحات الأفراد والمجتمع السياسي.

الخاتمة

لا يتسنى للباحث الخوض في غمار مفهوم الأيديولوجية دون الوقوف على مكونات ذلك المفهوم، حيث لا يمكن إغفال أن الثقافة هي الصقل والتربية ومعرفة الأنماط والسلوكيات الحياتية ومنها تتشكل الرؤى، وهي تكون ذات وظيفة مغايرة كونها متعلقة بخصوصيات التنشئة فهي تتصل بالمدى والواقع السياسي، وإذَا ما كانت كذلك فهي بمجموع هذه الرؤى كاملة تكون المرتكز الثقافي للأيديولوجية فلا يمكن أن تتكون هنالك أيديولوجية دون أصول ثقافية،

بل أن الأيديولوجية في صورتها العميقة هي عبارة عن ثقافة متحولة من مجال الثقافة الخالص إلى مجال الفكرة والتنظير ، حتى تكون بصورتها المثلى كأيديولوجية، وهذه المحددات التي تشكلت منها هي مقترنة بمحدداتها التاريخية والاجتماعية والأديان التي كانت بمثابة الأيديولوجية في أحقاب متناوليها، أو كما يصف البعض في ما كان منتشراً من طبقات (برجوازية) في الحقبة الأوربية ، هي كذلك تعطي هذا المعنى للأيديولوجية، فالعالم عرف السياسة بوصفها السلطة الحاكمة قبل الشروع بالتنظير لكثير من المفاهيم السياسية على مستوى الفكر ومنها الأيديولوجية والثقافة، فكانت العلاقة بينهما علاقة اطرادية فالثقافة في أحيانها الكثيرة تتغير وفق المتغيرات السياسية ، وكذلك الواقع السياسي مرتهن بجذوره الثقافية ، وان الأيديولوجية هي من مكونات الثقافة التي تسهم في صياغتها وتحديد ملامحها وأولوياتها، وهي بالتالي واحدة من مكوناتها ، وهي متصلة بمجالات العلوم كافة كالفلسفة والأجتماع والانثربولوجية، والسياسة إذَا ما نظرنا إلى الثقافة بمكوناتها فإننا نجد أن الأيديولوجية واحدة من أهم إنعكاساتها وتصوراتها الواضحة، فالبعض يصف الأيديولوجية بتجرد وهي المرتهنة في ذلك إلى التجذير العلمي والفلسفي الخالص بعيدا عن محتواها وتنسيبها ، والبعض الآخر بالأيديولوجية المرتهنة لمجموع الأفكار المختلفة و الدينية التي هي عبارة عن المورثات الميتافيزيقية والتقليدية والأيديولوجية الطبيعية التي ترهن إلى ما سبق كله من خليط المكتسبات الأجتماعية، ومن أساسياتها التجلي الثقافي الذي يتشكل من تلك المكتسبات مجتمعة ، وهو ما يشكل النواة الرئيس للبناء الإيديولوجي.

Abstract

Culture is an effective factor in formulating the idea that is a source of human opinions that constitute that idea, and therefore it is established in one way or another for the content of general human thought, hence ideology with its political dimension is a central factor in shaping the political structure of a system and the nature of governance and management of institutions, and here is a form The cultural factor and its association with politics (political culture) is an essential element in the source of the opinions that make up the political idea and therefore this idea was a source for formulating the ideological pattern and shaping its features, priorities, nature and direction, which is found to build the state, its general framework and nature The formation of the political reality of that state, so culture in its social framework, which is the result of its interactions from an heritage to an understanding of things to traditions and practices, is the nucleus of the overall intellectual formation and therefore one of its repercussions is the ideology in its political framework in which the research fought in which this data was presented and which constituted a clear aspect of cultur..